

خطب منبرية للشيخ عبد القادر بن مولود

جمعها: أ. جمال مرسلي

الجــزء الأوّل

9. لا يفتّ في عضدنا أيّ معارض أو مشعوذ



11 شوّال 1379هـ الموافق لـ 08 أفريل 1960م

الـحمد لله الّذي أرشدنا إلـى مسالك الـهدى، وأنقذنا من الــجهل والـرّدى، وأشـهد أن لا إلـه إلّا الله وحده لا شريك له، يصرف الأحوال كمـا يريد، وأشهد أنّ مـحمّدا عبده ورسوله، الّذي أرسـله الله إلــى النّاس كافّة بشيرًا ونذيرًا، صلوات الله وسلامه عليه، وعلـى آله وأصحابه الّذين اعتنقـوا ديـن الله وكـانوا أوّل الـمناضلين لإعلاء شأنه.

أمّا بعد: فإنّ أشرف خطّة يـجب أن نسير علـى منوالـها، ونواصل الدّأب علــى منهاجهـا، هـو ذلكـم الاختيار الـمنطقيّ الـمحكم، الّذي يعزّ كلّ من سلك سبيله، ألا وهـو اختيـار طريـق الـدّين الإسـلاميّ، والتّخلّق بكلّ ما يـحمل لنا من تكاليف ومعان حيويّة سامية، فمن أراد أن ينال تلك الدّرجـة العليـا فــي دينه ودنياه فليتقرّب إلـى الله بالعمل النّافع وفق ما أنزل عليه من قوانين شرعيّة، تعصم عقله وخطواته من الزّيغ والانزلاق، وليتقيّد بهذا الدّستور الدّينيّ الّذي يضيء عقله وتفكيره ويسـمو بروحـه إلــى الــمكان الأعلـى حتّى يمكن له أن يتغلّب علـى هذه الرّذائل والـدّنايا الّتي حطّمـت مـن كرامتـه، وشـوّهت مـن سمعته، وقضت علـى جـميع معنوياته الأخلاقيّة والاجتمـاعيّة، وكادت أن تهوي به إلـى الدّرك الأسـفل من الـهلاك والفناء.

ولكن شاءت حكمة الله أن تـخلق من هذا النّوع الـمغلوب علـى أمـره نـواة صالــحة حرّكـت عقلـه وهزّت شعوره وإحساسه إلـى الـخوض فـي ميدان الشّرف والـمعترك الـحيويّ الّـذي يسـمو بالفضـيلة إلـى أعلـى درجاتها. فاستطاع بهذا أن يقف علـى رجليه، ويؤدّي خطواته فـي سير مـحكم، ونظام متّقد، حتّى يلتحق بالقوافل الّتي تركته فـي الـمؤخّرة.

واليوم لـما بدأنا السّير وكدنا أن نسبق هذه القوافل ونقطع مراحل أوسع، لنفوز فـي ميـدان السّـبق ونـنال الـمجد والشّرف بمـا أظهرنا من عبقريّات ومواهب، ظهرت طوائف جديدة فينا تـمثّل الـحقارة والدّناءة، وتـميل إلى طريق الـخسّة، وتسلك أسباب الانحطاط والـخذلان.

أهكذا يسوغ لـها أن تترك العنان لنفسها وتترك دينها الـمقدّس، وتـدوس كرامتهـا، وتطعـن عقيـدتها وإيمـانها فـي الصّميم، وتوجّه تلك الضّربات القاسية لتهديم كيانهـا الاجتمـاعيّ الـمترابط، وتريـد أن تقضي علـى ذلك البنيان الـمشيد الّذي ارتفعت أركانه إلـى السّمـاء؟ أهذه هـي الإنسـانية الّتـي تريـد أن ترقى وأن تعتزّ؟ أم هذه حيوانية تريد أن ترجع إلـى الـهاوية وضلالـها القديم؟

ولكن لا نخشى العاقبة من الضّعف والانهيار، ولا يفتّ فـي عضدنا أيّ معارض أو مشعوذ.

إنّ الرّجال الّذين حملوا هذه الرّسالة الـمقدّسة أصبحوا الآن فـي القمّـة، وصـاروا يملكـون مـن القـوّة الـمـادّيّة والـمعنويّة ما لا يتصوّره العقل ولا يـحدّ وصفه واصف؛ لأنّ الله -جـلّ جلالـه- أعطـاهم مـن أسباب النّصر والتّأييد ما يكفيهم؛ لأنّهم جنده، وجند الله لا يُغلب؛ ولأنّهم حماة دينه وخلفاؤه فـي أرضـه، وقد وعدهم الله بذلك الـميراث فـي كتابه، ووعد الله لا يتخلّف.

قال جلّ جلاله: {وَعْدَ اللهِ لَا يُـخْلِفُ اللهُ الْـمِيعَادَ} الزمر: 20.

وقال جلّ شأنه -أيضا-: {وَتَـمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْـحُسْنَى عَلَـى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَـا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ} الأعراف: 137.

أمّا دعاة الشّرّ والفتنة الّذين حادوا عن طريقهم، وغيّروا مبدأهم، فليصنعوا ما شاؤوا، وما سوّلت لـهم أنفسهم. فإنّ الـمكر لا يـحيق إلّا بهم، وإنّ الدّائرة لا تكون إلّا عليهم. كمـا قال جلّ شأنه: {عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَـهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا وَللهِ جُنُودُ السَّمَـاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًـا} الفتح: 6، 7.